

التطورات المربنية الحديثة

الأديان كغيرها من العناصر الاجتماعية دأمة التغيير والتبديل ، وسنحاول أن نعرض في هذا الفصل لبعض الأفكار التي قامت في العالم منذ النهضة الأوروبية فاعتنقها الكثيرون ، فسارت نحو الانتشار وما زالت تجد كثيراً من المرشحين بها

ابتدأت هذه النهضة بلوثر فقد رأى من نظام البابوية وأخلاق البابوات ما أسخطه فقرر مبدأ تقرير المصير للنفس والانسانية ، وأن خلاص الانسان ليس قضية يحكم فيها الكهنة والكنيسة وإنما هو مسألة خاصة بين الانسان وربه ولا شأن لحكومة أو فرد أو أى هيئة أخرى ان تتدخل فيها وقال ان الطقوس الدينية يجب أن تتبع أحكام العقل ولذلك ألغى الطقوس التي لا تتفق ومطالب الحياة أو لا تتماشى مع العقل

ولما أتى القرن الثامن عشر كانت هذه النهضة قد أثمرت وأينعت فابتدأت تظهر بفرنسا نهضة أدبية ، ولكنها في آثارها وصميمها كانت أكبر من ذلك ، كانت دعوة حارة إلى تحرير الذهن البشرى والا كبار من شأنه والاعتماد عليه ، وكان جميع أبطالها ينظرون إلى أوروبا بل الى الدنيا كلها كأنها وطنهم الأصلي وكان أبطالها البارزون فولتير وروسو وديدرو

والنهضة الثالثة ظهرت في منتصف القرن التاسع عشر حيث ظهر كتاب داروين أصل الأنواع (١٨٥٩) فجعل التفكير في الأصل والحال والمصير للانسان تفكيراً بشرياً ، وتتلخص نظرية داروين في أن الانسان والحيوان يرجعان إلى اصل واحد ، وأن الموضوع يتعلق بالعلم ، إلا أنه كان سبباً لحرب قاعية قامت بين رجال الدين والعلم مدة أربعين سنة تقريباً في جميع أنحاء أوروبا

هذه هي الحركات القوية التي كان لها أثر بين في ظهور ما سنعرض له من مذاهب دينية ظهرت في خلال القرن التاسع عشر ، وقد زاد من تأثيرها التغيير الاقتصادي الذي طرأ على العالم منذ حدوث الثورة الصناعية وأهم هذه المذاهب : الأشتراكية والصوفية الحديثة والبهائية والبشرية

مرت فكرة الانسان عن القوة الروحية في تحولات عديدة كان آخرها تلك الأزمات الدينية التي سنتحدث عنها والتي تتميز بصعوبة الانسجام مع الظروف المحيطة بها ، ويرجع ذلك إلى عظم التغيير الذي أصاب الانسان فلم يعد يرى الاعتقاد بالاله مهماً ، فأخذ يبحث عن إله غيره : شخص قادر على المساعدة وفي نفس الوقت لا يدفعه الاعتقاد فيه إلى عدم الاخلاص للعلم ، لأن للانسان حياة ، ويعلم من تجاربه مصدرها ليس في الأكل والشرب بل أيضاً في العقيدة الروحية . إن هذه هي المشكلة التي حاول حلها كوفت وكانت وعلماء الأخلاق والنفس . والواقع أن لكل حل الحق في

أن يسمى ديننا إذا ساعد على حفظ وتقدم الحياة بطريق الايمان بقوة روحية أتى من الانسان كان من أثر الانقلاب الصناعى فى أوربا والتقدم الاقتصادى ظهور الأفكار الاشتراكية التى ترمى إلى تغيير نظام الجماعة تغييرا كليا وكان روبرت أوين « ١٧٨١ - ١٨٥٨ » أول المبشرين بالأفكار الاشتراكية الحديثة أخذ ينادى بوجوب استيلاء العمال على انتاجهم ليتصرفوا به حسب احتياجاتهم . ومن أجل ذلك أخذ يوحد صفوف العمال ويؤسس النقابات ، وفى عام ١٨٣٣ توصل إلى جمع نقابات العمال فى حزب واحد سماه « حزب العمال الاشتراكى »

فى الوقت الذى كان أوين يجاهد فيه بالجهل فى سبيل تخليص الانسانية من بؤسها الفارقة فيه من جراء النظام الفردى ، كان سيسموند « ١٧٧٣ - ١٨٤٢ » بفرنسا يحاول أيضا تحقيق هذا الغرض . أخذ يهاجم الرأسماليين وذهب إلى أن تقدم الميكانيكيات ومزاحمتها العمال من شأنها أن تقضى على عدد كبير منهم بالبطالة - كما انها تسبب زيادة الانتاج على الاستهلاك وتحصّر رؤوس الأموال والاملاك فى أيدي فئة صغيرة من الناس مما يتسبب عنه أزمات شديدة الخطورة

وفى سنة ١٨٢٤ قام وايم تومبسون تلميذ الفيلسوف بنتام وكان متأثرا بعقائد سيسموند وأخذ ينادى بأن من حق كل انسان أن يتمتع بانتاج عمله ، وبالغاء أرباح رأس المال والاملاك الخاصة وقد تطورت الآن الاشتراكية إلى شكل دينى ، ولو كان لها الله معين يعبده الناس لتم لها النصر بسرعة ، وقد اطلع رسلها على تلك الضرورة بغريزتهم ، ولكنهم لم يجرؤوا على مطالبة الشعب بعبارة كارل ماركس اليهودي الذى هو حبرها النظرى

لم تستهو الآلهة المجردة قلب الجموع فقط ، ولذلك تفتقر الاشتراكية ذات المبادىء والتعاليم الى رب تدعو الناس الى عبادته ، وليس عليها أن تنتظر كثيرا لئتمثل لها هذا الرب ، إذ أن الآلهة هى بنت الحاجة . وما فى الاشتراكية من قوة يشق على الخصوص من كونها وارثة لتعاليم المسيحية ، فقد استعارت مبادئ الاشتراكية من السلف النصرانى ، المتعطش الى المساواة، وحب الغير ، ولوم الأغنياء . ولذا أصبحت الكنيسة فى بلجيكا حليفة الاشتراكية ، فهى تستحسن فيها اعتصابات العمال علنا . وتشجع على تنازع الطبقات

ولرسل الاشتراكية ما لأنصار المسيحية السابقين من توقد الروح مما يظهر فى كثير من الرسائل والمقالات التى ينشرها عوام الاشتراكيين وعلمائهم . والواقع ان العالم لا يدخل الى دائرة المعتقد من غير أن يفقد اعتداله وصوابه . ولا فائدة من لومه على ذلك . فللمعتقد على المرء أيا كان سلطان قاهر تتمذر مقاومته

يرجى للاشتراكية الفوز لأنها تستهوى بوعودها أفئدة الساخطين المتدمرين والفقراء وهم

المواد الاعظم من سكان العالم ولانها تسد القصر المنورس الناتج عن التقادم العلمى وظهور
المخترعات والآلات ولانها وسط بين نظامين يتألف منهما المتدينون وهما الشيوعية والفردية وقد
أخذت منهما حسناتهما ونقضت عنها نقائصهما الظاهرة

وسعادة الاشتراكية المدعوة دنيوية تنال في هذه الحياة لا في حياة أخرى وانها لذلك قد
تمجز بسبب من الاسباب عن انجاز وعودها تامة كاملة ولكننا لا ننسى كذلك أن السكال في
الدنيا ضرب من المستحيلات وانه وان كانت الاشتراكية لن توصل معتقبيها لحالة من النعيم
لا مطلب خلفها الا أنها قد تستطيع أن تنتشلهم من حالتهم الى ما هو خير منها . وليست الاشتراكية
نهاية ما يمكن أن يتطور اليه النظام الاجتماعى وعليه فالتطلع للأحسن سيدفع الناس دائماً للتنقيب
عما فيه سعادتهم ورفاهيتهم

قام بجانب مذهب الاشتراكية الاقتصادية مذهب التيو صوفية الروحي وتعتمد مدام بلافانسكى
مؤسسة الصوفية الحديثة وهي روسية الأصل ابتدأت حياتها عندما هجرت روسيا ورحلت الى الهند
فأخذت تدرس الحكمة الشرقية وتشبعت نفسها بالحكمة الروحية ، فكرست بقية حياتها في نشرها
رحلت الى أمريكا وهناك قابلت كوك أولكونت أحد الصحفيين المشتغين بالعلوم الروحية فأسسوا
أول جمعية تيو صوفية بنيويورك « ١٧ نوفمبر ١٨٧٥ » وكان الاخير رئيسها وكان غرضها:
١ - تكوين نواة للأخاء العالمى للانسانية بدون تمييز للجنسية والمعتقد والجنس
والعلاقات والالوان

٢ - تشجيع دراسة الآداب والأديان والعلوم الشرقية وعلى الخصوص الآريه

٣ - البحث عن قوانين الطبيعة الغامضة وقوى الانسان الروحية

استمد مؤسسو الصوفية عقيدتهم من الفكر الدينى القديم وعلى الخصوص ما انتجته الهند ،
وهم يحاولون أيضا أن يربطوا عقيدتهم بالتطورات الفلسفية الحديثة والفروض العلمية ،
فأصبحت نظرتهم الدينية لنظرية التطور وفلسفة هيكل وللأسف العلمية وغيرها تكون مذهباً واحداً
وإذا تأملنا في القطعة الآتية التي كتبها آنى بيزانت أكبر مبشرة بالصوفية . فقد نستطيع
تكوين فكرة عن كنه التعاليم الصوفية

« إن الحياة والوجدان والكون ليست إلا مظاهر أو تجليات من مظاهر الله وتجلياته ، وهو
واجب الوجود لذاته لا يدرك الانسان كنهه ، وهو أزل ، أما الكون فزائل يبقى ملايين من السنين
ثم يزول ، ومن ثم يعود الخلق والزوال ، ويصدر الكون عنه بواسطة اتحاد أطيولى بالجواهر ،
وبعبارة أخرى باندماج السلب بالإيجاب ، وليس لأنهما منفصلان بمضهما عن البعض ، بل لأنهما

منترقان افتراق كل من القطبين الأيجابي والسلبي عن بعضهما في المغناطيس ، حال أنهما موجودان في كل ذرة من ذراته . « وتكون مدة حياة الانسان في هذه الدنيا متصلة بالطبيعة الأرضية فيه وذلك بواسطة العقل الذي هو قسمان : - قسم عال ، وآخر عادي ، فالعالي والعالوي يصعد إلى أعلى والعادي أو السفلي يطلب الأسفل ، أى يطلب الحياة ، وذلك لأنه يمتزج بالعواطف »

« وعند الموت تطلب الروح والنفس والعقل الانفصال عن الطبيعة الدنيا للإنسان في حين يعود العقل السفلي ، إلى مصدره ، وهو العقل العالوي ، يحمل معه ما تعلمه مدة حلول النفس في الجسد ، وتظل هذه الثلاث . الروح والنفس والعقل مطمئنة إلى ما أفاده العقل من الخبرة في حال من الوجدان مريحة مستقلة عن الجسم الدنيوي وعن كل ما يتصل به من حدود وأوضاع وعوائق مختلفة ، وهذه حال تظل وفقا لدرجة الارتقاء التي يبلغها الانسان في أثناء مقامه في الأرض ثم تنتهي برجوع هذا الوجدان إلى الجسم أي بنقصه أو حله في جسم ثان وهكذا »

لنتحدث الآن عن البهائية « وتعتبر أكثر المذاهب الدينية انتشارا في القرن الماضي » نشأت البهائية في أواسط القرن التاسع عشر على يد الباب الذي سار سيرة معظم الأنبياء إذ دعا دعوته فصار له أولياء وأعداء ثم قبضت عليه الحكومة في تبريز وأعدمته في ٩ يوليو سنة ١٨٥٠ وقتل أيضا كثيرون من تلاميذه الذين تحمسوا في نشر دعوته ولكن هذا القتل زاد الدين الجديد انتشارا لأنه اكسب المقتولين سمة الشهداء وعطف عليهم القلوب ، وكان من تلاميذ الباب رجل يدعى الميرزا حسين علي فوزي ولد سنة ١٨١٧ وقد لقب بعد ذلك بلقب بهاء الله واليه نسبت البهائية . قبض عليه أيضا سنة ١٨٥٢ في طهران ثم نفي إلى بغداد مع سائر من نفوا إليها . ولكنه استطاع أن ينزل رفاقه في بغداد ويعيش منفردا ناسكا في جبل يقع في شمال الليمانية ، وفي هذا الانفراد استطاع أن يجمع قوى نفسه ، ويتحد مع الطبيعة

وكان الانفراد والعزلة والانعكاف خصال يحتاج إليها كل نبي أو مفكر لكي يزن نفسه أمام الطبيعة ويخاطبها ويتفاهم وهذا الكون الذي يحجبه عنه ضوضاء الناس وأحوال الاجتماع . وما أن قضى السنين ناسكا في ذلك الجبل حتى النفي نفسه تنور به إلى العمل فعاد إلى بغداد وهناك وجد الجالية الفارسية المنفية التي استقبلته كأنه الزعيم بل النبي لهذا الدين الجديد ، ثم نفي البهائيون من بغداد إلى الاستانة ، وبينما هم في الطريق وقد حطوا رحالهم للراحة خطبهم بهاء الله خطبة جاء فيها « يجب أن تكفوا منذ الآن عن نبر الداس بالكفر إذ ليس في العالم كفار وإن الله خلق الناس كأنهم القطرات المنفصلة من ماء بحر واحد . وهم الأوراق من شجرة واحدة ، فجميع الناس طاهرون ليس بينهم نجس ، وإن الباب لم يستشهد في سبيل الفرس والأسلام ، بل في سبيل جميع الناس

على السواء وقد مضى زمن الأديان وبرز فجر الدين «

والبهائية دين لا يعتمد على سلطته ، ولا يدعو الى عقائد يحزم بها ، وليس له كهنة يحمونه ، أو دولة تدافع عنه ، بل يقول بهاء الله أنه يجب على كل إنسان أن يؤمن بما يقتنع به . فالدين يجب أن ينبع بقوة الضمير من قلوبنا إلى السمتنا ولا ينزل بقوة السلطان من السمتنا إلى قلوبنا . ثم هو يقول إن الوحي لم ينقطع لأن الإنسان ما يزال متصلا بالسماء وتكاد تحسبه يعد العبقري نبيا يوحى اليه ومن أعجب ملاحظاته قوله « إن الكاهن هو العدو الطبيعي للنبي لأنه يمنع تطور الدين وترقيته عند ما يرى أن مصلحته تطالبه بلزوم الحرف دون الروح »

وخياله عن الله هو خيال المتصوفين المسلمين فهو يقول إن الله كان في الذرة وإنما تتفاوت درجات الألوهية في الاس . فكل إنسان إنما هو إنسان واله معا تزوج فيه الطبيعتان أوها طبيعة واحدة

ويقول إن البعث الذي يراد به إحياء الأجسام بعد الوفاة إنما هو بعث وتجديد في حياتنا الراهنة . والنبي هو ذلك الذي يبعث نفوس الناس ويجددها وهو هنا يوافق المسيح في قوله « يجب أن تولدوا من جديد » وإنما الميلاد الجديد هو تجديد النفس وبعثها من خمولها السابق إلى يقظة الايمان

لنستعرض بعد ذلك البشرية وهي رابع المذاهب التي يتحدث عنها هذا الفصل

يعتبر أوجست كونت « ١٧٩٨ - ١٨٥٧ » أول المنادين بالبشرية وضع قانون التطور الفكري

ويتلخص هذا القانون فيما يلي : —

كان الناس في بدء أمرهم ينسبون الظاهرات التي يشاهدونها إلى قوات غير منظورة يدعونها آلهة وهذا هو العصر اللاهوتي مع مختلف عقائده من حيث التوحيد والتعدد

ولسكنهم لما رأوا أن الظاهرات تحدث على وتيرة واحدة لا تتغير ، وهذا لا يتفق مع الارادة المتغيرة ، اعتقدوا بوجود سمات خفية أو خواص أو سواثل جاذبة ، وهذا هو العصر النظري

وأخيرا أخذ التأمل يبدد تلك الخطرات الفكرية المضطربة التي لا تركز على أساس ، وبحث الفكر في أسباب تلك الظاهرات التي تسبق أو تلائم حدوثها ، وهذا هو عصر العلم الوضعي

وقال ان الشيء الواقعي هو وحده موضع العلم ، لأنه وحده الذي يمكن تحقيقه بالاختبار . وربط أسبابه بمسبباته ، فالحوادث التي يمكن ملاحظتها هي الحوادث الظاهرة ، أما الحوادث

الباطنة فلا يمكن معرفتها ، فالبحث عن الملل الفاعلة الغائبة بحث مناف للعلم ، ولا يفهم من ذلك أن العلم يؤدي الى القول بالمادية وبالاحاد لأنه لا ينكر النفس ولا الله إنما يجهلها وأدى به القول

أخيرا الى الاعتقاد بدين عام للانسانية

وجدت فكرة البشرية التي قال بها كونت كثيراً من المحبذين لها وخاصة من الفلاسفة ورجال العلم ، وذلك لأن البشرية ليست ديناً إلهياً ، بل غاية البشر وخدمتهم ومنفعتهم ، وليست له غاية أخرى كعبادة الله ، أو الخلود ، أو المسكافأة بالجنة أو المعاقبة بالنار

وهذا الدين ليس حديثاً فان اسمه الأوربي Humanism يرجع الى عصر النهضة وهو يقوم على درس الآداب القديمة والحديثة ويجعل من هذه الآداب مردأً للنفس البشرية تثوب اليه كما تثوب نفس المتدين الى القرآن أو الانجيل ، ولكن معنى هذه اللفظة في تطور . فهو لم يكن يعنى في عصر النهضة ديناً جديداً يقوم مقام المسيحية ، وإنما كان يعنى نزعة جديدة تنزع بالناس الى درس الكتب الوثنية والآداب بجانب الدين . أى أن الثقافة يجب ألا تقتصر على الدين والبحث حول المذاهب والاعتقادات المسيحية كما كان الشأن في القرون الوسطى وإنما يجب أن تتعداها الى درس الفلاسفة والأدباء

ولكن المعنى الآن يختلف لأنه يعنى الايمان بالانسان بدلا من الايمان بالله واستنباط الضمير الانسانى من الفلاسفة والأدباء والاجتهاد فى إسعاد الناس على هذه الأرض بدلا من أن يطمعوا فى سعادة الآخرة . والتزول على حقائق العلم

ويقول البشريون فى أساس الأخلاق . ان الفضائل ليست مراسيم إلهية . وإنما هى اختبارات إنسانية ، وهى فى تطور لا ينقطع . فنحن نؤمن بالشجاعة والعفة والكرم والوطنية ونقول بالأسر والأمانة فى الحب وحرية المرأة والغناء الرق ومحو الاستعمار وتأسيس المؤسسات للأبحاث العلمية ، والحض على قراءة الأدب والدعوة الى العدالة الاشتراكية ، وغير ذلك من الفضائل لا لأننا تناولناها من الدين بل لأننا وجدنا بالاختبار الانسانى أنها أشياء نافعة يجب أن نحض عليها ، وأنها تؤذى الهيئة الاجتماعية التى نعيش فيها إذا لم نمارسها

فالأساس المعقول للأخلاق عند البشرى هو الاختبار الانسانى وحسبه ذلك ويجب عليه ألا يبنى ما يتجازه من سلطان إلهى ليقره عليه

يجب أن يكون الدين عملاً لا صوفية ، فان الفرد لم يعد هو المسئول عن نفسه من حيث ذنوبه وجرائمه ونقصه الأخلاقى بمقدار مسؤولية الهيئة الاجتماعية عنه لانه يسير مقيداً بقوانين بيولوجية واجتماعية واقتصادية ، وغيرها من العوامل التى تتحكم فيها الدولة ، لذلك تحولت حاجته للدين إلى الحاجة لمعونة الهيئة الحاكمة

مازال معتقدو المذاهب التى تحدتنا عنها يعملون نحو نشرها بكل الوسائل الممكنة ، ولو أنه لا ينتظر لها نجاح عظيم يفوق ما أحرزته حتى اليوم من النصر

لا أن نصرها الحقيقي ينحصر فيها جنته الأديان من الفائدة بسبب ظهور هذه المذاهب ، فقد قام بها المصلحون ينادون بوجوب إحياء العقائد الموروثة والعمل على اصلاحها . ولنسمع الآن لما يقوله غاندى أكبر مصلح دينى عرفه العصر الحديث :

« لا أقبل أن أجعل من الدين اسماً ، وأن أفعل الشر باسمه المقدس فعقيدتى فى دينى لا تحملنى على تصديق كل كلمة وكل شطرة كأنما هى إلهام . وأرفض أن أقيّد بتفسير ما مهما كان علمياً إذا كان لا يتفق مع العقل أو الخلق »

« انى نجد فى دينى كل ما أحتاج اليه للتكشيف الداخلى ، لأن دينى هذا يعلمنى الصلاة ولكنى أصبى أيضاً حتى يمد كل انسان تكشيفه الداخلى فى دينه وحتى يرقى المسيحى والمسلم فى دائرة دينه فيصير كل منهما أصاح مما كان . واننى واثق أن الله سوف يسألنا عن حقيقتنا وعن أعمالنا ولن يسألنا عن الاسم الذى تسمى به هذه الحقيقة أو هذه الاعمال »

ويقول تاجور فى حديث له :

« انه لمن العجب أن تكون الهند الأمة الوحيدة التى زودت العالم فى القرن التاسع عشر بأول رجل أممى . أعنى به رام موهان روى . فقد كان هذا الرجل شغوفا بالحقيقة نشأ فى أسرة سنية من أسر البراهمة ، ولكنه تخلص من جميع القيود والشعائر . وكان يدرس البوذية ، ورحل الى تبت لهذه الغاية ، ودرس العبرانية والعربية والفارسية والانجليزية والفرنسية ، رساح كثيراً فى أوروبا ، ومات فى برستول بانجلترا ، ولم يكن يفهم من الحقيقة الروحية تلك الشعائر التى تؤدى فى المعابد ، ولم يكن يمتد أن هذه الحقيقة مما يجوز أن يسام الناس الايمان به على الرغم منهم وانما كان يعتقد أن هناك رابطة روحية تربط جميع البشر وأن غاية الدين هى الوصول الى هذا الاتحاد الأساسى فى العلاقات والجهود والأعمال الانسانية »

وفى ذلك يتول غاندى أيضاً :

« ليس الدين الفكرة التى يخرج بها الانسان بعد أن يقرأ كل الكتب المقدسة التى أتت بها أديان الارض ، اما الدين شىء لا يدركه العقل ولكنه شىء يحس به القلب ، وليس الدين بشىء يهبط علينا من الخارج . بل شىء يتطور بتطور إحساساتنا الداخلية . وقد يعى البعض شيئاً من هذا التطور ، واسكن الكثيرين لا يعون منه شيئاً ، وسواء أتطور الدين بوعى أم تطور من غير وعى فإنه موجود دائماً . وله فى كل الحالات الاثر الباقي فى كل أعمالنا »

لننظر الآن إلى أقوال بعض فلاسفة وعلماء العصر الحديث لنرى بأي منظور ينظرون الى العقيدة

الدينية . يقول علماء الأرخولوجيا :

ليست قصة آدم وحواء . وغيرها من قصص الأديان إلا رموزاً . تبرز للناس الحقائق السامية الشاملة التي تدعو إليها الأديان ويخلدها ضمائر البشر وبصائرهم . هذا هو الواقع ، وهذه هي طبيعة النفس الأنسانية . التي تتمثل في عقلية الجموع ، وأبناء الأديان جميعاً . فالغاية هي التسامي بالنفس والايان بالله . وبالحق وبالخير ، فلنتخذ في ذلك الوسائل كلها ، مادامت هذه الوسائل لا تبعثنا عن غايتنا ، بزحزحتنا نحن عن هذه الغاية ، وبصيرورتها هي الغاية . لتكن الموسيقى والصور ، والتماثيل والتماثيل ، والأصوات الجميلة كلها في خدمة الدين ولتستخدم في إثارة الروح السامية في الناس الذين شغلتهم حاجيات اليوم عن النظر في أعماق النفس ، والأنصات الى صوت الله ينبعث من أغوار القلب

ويتكلم برجسون في فلسفته عن وسط تنطلق منه العوالم كالأسهم النارية وهو ليس شيئاً جامداً ولكنه حياة مستمرة منطلقة حرة . هذا الوسط هو الله ، خلق المادة والحياة والانسان ، وقد وجدت في الانسان قوة مبدعة من شأنها أن تتم عمل الله في الخلق والأبداع فكان قوة الله المبدعة لا تنحصر في ذاته ولكنها تمتد الى المخلوقات الراقية

ويرى برجسون أن الدين نوعان أحدهما الدين الاجتماعي الذي تؤلفه الأمة ببصيرتها وتفسح منه الفصص والأخيلة التي تتمسك بكيانها الاجتماعي والآخر وهو الصوفية التي يحاول أن ينتقل بها الفرد عن الجماعة في إيمانه الديني ، ويقول برجسون إن الصوفية تنشأ من اعتماد الصوفي على بصيرته دون ذهنه وهي عندما يبالغ فيها تنتهي بالفصل بينه وبين الدنيا ، والصوفي هنا كرياضي الذي يلعب بالأرقام حتى تنتهي بها إلى أرقام لا علاقة لها بالواقع

والمنزى أن برجسون يؤيد البصيرة ويقول بتأييد أخلاق الجماعة ودين الجماعة . أما الفرد الذي يعتمد على ذكائه . أي عقله فهو يخشاه ويرى فيه عاملاً للتفكك . وان كان في بعض الأحيان ضرورياً للرقى

ويقول جيمس جاز العالم الطبيعي الأنجليزى — .

« اذا كان هذا الكون هو كون فكري فان خلقه كان لابد عملياً فكرياً . والحقيقة ان وجود حدود للزمان والفضاء يكاد يضطرنا وحده الى أن نتخيل هذا الكون باعتباره عملاً من أعمال الفكر ويجب أن يكون الزمان والفضاء اللذان جرى فيهما هذا الفكر قد وجدنا ككائنا جزء من هذا العمل . . . ومعارفنا الجديدة تضطرنا الى أن نراجع آراءنا التي تمجنا في ارتيائها والتي تقول بأننا انما قد وقعنا في هذا الكون على غير قصد وان هذا الكون لا يبالي بالحياة بل وقف منها موقف العناء . فانه الأزواج القديم عن العقل والمادة . وهو السبب لهذا الاعتقاد

بالعداوة . يبدو لنا أنه ميزول .. وذلك بأن تصير المادة مظهراً من مظاهر العقل بل عملاً من أعماله ونحن نجد في هذا الكون ما يدل على وجود قوة تضبطه وتديره وهذه القوة تشترك في كثير من صفاتها مع عقولنا . وليس هذا الاشتراك في العواطف والأخلاق والاحساس بالجمال . ولكن في طريقة التفكير التي نسميها نحن تسمية ناقصة بالطريقة الرياضية »

ويرى ادنجتن « ان الشعور عنصر أساسي في الكون فلانسان قيمته الكونية . لانه يتصل بالطبيعة عن طريق الشعور . ويظن في بعض لمحات من اتصاله هذا انه يرى نظاما . وفي هذه اللمحات يعينه العلم بعض الشيء على تبين النظام »

ويرى أن المذاهب الدينية عوائق في سبيل التوافق بين النظرة العلمية والنظرة التي يقال ان الدين يقتضيها ، فليس في العلم عقيدة . ومن المستحيل انشاء دين قائم على العلم وحده كما يريد البعض أي دين يكون فيه كل اكتشاف علمي مظهراً جديداً من مظاهر صفات الله ، وذلك تخلصاً من نظرية الخلق ، التي لا تتفق وما هو معروف من الحقائق العلمية . ثم يقول : يجب ألا تقيد الروح الحرة الباحثة ، عن الحقيقة بقيد ما ، فالعالم ينفر من اشباع البحث العلمي بالمعاني الدينية ، وليس ذلك لأنه شديد التعصب لمعتقده ، أو شديد النفور من الدين ، ولكن لأن هذا الاشباع يشوش عليه الأسلوب الذي يجري عليه في البحث ويلون الحقائق ، أو ما يظنه حقائق ، بألوان التفكير الشخصي ، والرغبة الخاصة ، فدين علمي كالمثال الميكانيكي للدماغ ، كلاهما غير مرغوب فيه . لأن الأمثلة الميكانيكية . تحول دون فهم ما هو وراء العالم المنظور .

كتب أينشتين في احدي مقالاته عن الدين والعلم ، العبارة الآتية

بعد أن أشار إلى فكرة تزويد الله بالخصائص البشرية وهي الفكرة الموجودة في أغلب الأديان « الأشخاص الموهوبون فقط أو الجماعات الراقية هي التي ترتفع عن هذه الفكرة وفي ذلك توجد درجة ثالثة للاختبار الديني رغم انها نادرة الوجود بشكل مجرد . واني أسميها الحاسة الدينية الكونية ومن الصعب تصورها لمن لا يمارسونها لأنها لا تنطوي على تزويد الله بالخصائص الانسانية ، يشعر الفرد بغرور الرغائب والأغراض الانسانية ، وببطل وعظمة النظام المتجلى في الطبيعة وفي عالم الفكر وكذا يشعر بأن المصير الشخصي بمثابة قيد ، ثم يحاول الامتزاج بالوجود كله كوحدة تامة المعنى . والدلائل على هذه الحاسة الدينية الكونية ، يمكن وجودها في بعض مراقب التطور القديمة في أقوال بعض الأتقياء »

« وقد امتاز عباقرة الدين في جميع الازمان بهذه الحاسة الدينية الكونية ، التي لا تعترف بمذهب أو بآلة على صورة الانسان . فكيف يمكن نقل هذه التجربة الدينية من شخص الى آخر ، إذا

كانت لا تستطيع السير بنا إلى صورة محددة عن الله ، أو إلى مذهب ما »

« ويلوح لي أن أهم وظيفة للفن وللعلم ، هي خلق وتعهد هذا الشعور فيمن يتناولونه ، وطبيعي ان الكنائس حاربت العلم دائما واضطهدت العلماء ، ولكنني أجزم من جهة ثانية بأن العاطفة الدينية الكونية ، أقوى وأنبئ القوى المسيرة وراء البحث العلمي »
ثم يقول في حديث له : —

« أن أجمل شيء لشعر به في حياتنا هو تلك الصوفية الخفية ، فهي منبع كل فن وعلم حقيقيين ، ومثل من لا يغمره هذا الشعور ، ومن لا يستطيع أن يقف ليعجب في رهبة كمثل الميت ، فهو حي يعيش بعينين مغلقتين ، وهذه البصيرة النفاذة إلى سر الحياة ، وان لازمها الخوف ، هي التي أوجدت الأديان ، ومعرفتنا أن مالا يمكننا احترافه أو الوصول إليه موجود فعلا وانه منجل لنا وكأنه الحكمة العليا ، والجمال الفيض ، تستطيع ملكاتنا ادراكه في أحسن أشكالها البدائية ، هذه المعرفة وهذا الشعور هما في صميم الدين ألحق وبهذا المعنى . وهذا المعنى فقط انتمى إلى صفوف المتدينين المخلصين »

« واني لا أتصور إلهيا يكافئ ويعاقب خلائقه على أعمالهم — إلهاً قد حددنا أغراضه وأعماله على مثال أغراضنا وأعمالنا ولم يجعله إلا صورة أخرى من الضعف الانساني . كما اني لا أعتقد ان الانسان سيعيش بعد موت جسمه ، ولو أن بعض ذوي النفوس الضعيفة يلجأون الى مثل هذه الافكار بدافع الخوف أو الفرور المثير للضحك ، وانه يكفيني أن أتأمل في أسرار الحياة الخالدة وأن أفكر في هذا التكوين العجيب للعالم ، الذي لا نستطيع أن ندركه ادراكا تاما ، وأن أحاول في خضوع أن أدرك ولو جزءا دقيقا من ذلك الدكاء الذي نشاهده في أعمال الطبيعة »

اتضح من الآراء التي عرضنا لها . ان علماء هذا العصر يمتازون بتزعة روحية . تختلف كثيرا عن النزعة المادية التي اتصف بها علماء القرن التاسع عشر . فلنحاول الآن تلخيص هذه الآراء ليست الذرة سوى قوي كهربائية في حركة دائمة وهذا الوجود المادي ليس إلا قوة وحركة ، وليس ثمة وجود لتلك الفروق التي نحس بها في مختلف أشكاله ونواحيه . فليس هذا الوجود بمظاهره المتنوعة . الا سيالا متدفقا من القوة . بل هو مظهر من مظاهر الروح . وليس ما نحس به من مختلف الاجسام والعصور . وجود حقيقي خارج الفكر . ولكن الحقيقة الوحيدة التي تدل عليها هذه الاشياء هي وجود احساسات متنوعة . كأنه في الانسان مركزها الفكر وان هذا الوجود المادي ليس الا صورة منه لا حقيقة مطلقة . فلا وجود للنور والصوت والحرارة . خارج فكر الانسان ذلك لانها ليست سوى اهتزازات مختلفة السرعة والقوة . للآثير . يتأثر بها الفكر تأثرا خاصا .

فيطلق عليها هذه الأسماء ، فليس هذا الوجود المادى الا فكرة فى عقل الانسان ، ويتفاوت الانسان فى ادراكه باختلاف خاصيته واستعداده كذلك ، فالوجود المطلق فكرة فى العقل الاعظم وقد يصل بعض الاشخاص الممتازين الى هذه الحقيقة التى هى أرقى فكرة دينية ، فيبلغون درجة الشعور الدينى الصوفى وهو لا ينطوي على تشبيه مادى للذات الالهية ، ولا يشمل صورة للخالق وانما علاقة هذا الشعور ادراك ما يأتى : —

- ١ — بطلان الرغبات الزائلة والاعراض الانسانية المتنوعة
- ٢ — جلال النظام المدهش الذى يتجلى فى عالم الطبيعة والفكر
- ٣ — تقييد مصير الانسان بهذا النظام الكونى العجيب
- ٤ — اعتبار هذا الوجود الكونى وحدة مشبعة بأسمى المعانى



مراجع الكتاب

نشوء الدين

- Durkheim — Les Formes élémentaires de la vie religieuse.
Grant Allen — The Evolution of the Idea of God.
Frazer — The Golden Bough.
Londe — The Psychological Origin & Nature of Religion.
Morgan, B. D. — The Grey Dawn of Religion.

الديانة المصرية القديمة

- Moret & Davy — Des Clans aux Empires.
Steindorff, G. — The Religion of Ancient Egypt.
Smith, G. Elliot — In the Beginning.

سلامة موسى — من أصل الحضارة

اليهودية

- Abraham —, Israel — Judaism.
Fleg, Edmond — Anthologie Juive.
Josephus, Flavius — The Wars of the Jews.
Levine, Ephraim — Judaism.
Montant, Edouard — Histoire du Peuple d'Israel.
Renan, Ernest — Histoire du Peuple d'Israel.

اسرائيل ولفاسون — تاريخ اليهود في بلاد العرب

المسيحية

- Bacon, Benjamin W. — The Making of the New Testament.

- Cauly, Mgr — Histoire de la religion et de l'église.
 Gibbon — The Decline & Fall of the Roman Empire.
 Maycock, A. L. — The Papacy
 Postel, V: — Histoire de l'église.
 Robertson, J M — A Short History of Christianity
 Yearsley, Maclead — the Story of the Bible

الاسلام

- Dozy, R F A — Essai sur l'histoire de l'Islamisme
 Margoliouth, D. S. — Mohammedanism

احمد امين — فجر الاسلام وضحي الاسلام
 بندلي جوزى — من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام
 الشيخ محمد الخصرى — محاضرات تاريخ الامم الاسلامية
 عبد اللطيف الطهاوى — التصوف الاسلامى العربى
 فان فلوتن — السيادة العربية . ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن
 السكونت هنري دى كاستور — الاسلام . ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا

مراجع عامة

- Clömen, C. Les Religions du Monde.
 Encyclopaedia Britannica
 Harmsworth History of the World
 Huby — Cristus
 Martihdsle, C G The Religions of the World
 Sullivan & Walter Grierson Outline of Modern Belief

للشهر ستانى — الملل والنحل
 عمر عنایت — العقائد
 نوفل — سوسنة سليمان — فى اصول العقائد والايمان